Archive of SID

أهل البيت علیهم السلام فی شعر كشاجم حفيد (السندی بن شاهک)

سيد محمدرضی مصطفوی نيا*
محمد عابدين بايگان**

الملخص

يعتبر كشاجم محمود بن الحسين، من الشعراء المعروفين فی العصر العباسی الثانی. كان طباخاً، ثم برز شاعراً وأديباً، عند أبی الهيجاء الحمدانی فی حلب، وبعده ابنه؛ الأمير سيف الدولة الحمدانی. تنقل بين البلدان، وأعجب بمصر، وله عدة كتب، أهمها: ديوان شعره، حيث أجاد فيه الوصف والمدح. والشاعر حفيد السندی بن شاهک، قائد الحرس وصاحب السجن، والذی امتثل أمر الخليفة العباسی الرشيد بسجن الإمام موسی بن جعفر الكاظم (عليه السلام)، والتشديد عليه، وقتله بالسم. إلا أن حفيده الشاعر عبّر فی شعره عن حبه لأهل البيت (عليه السلام)، ووالاهم ودافع عن حقهم، وحَزِنَ لمصائبهم، مما دفع إلی دراسة هذا الجانب من شعره باعتباره من مظاهر التفاوت والاختلاف فی المواقف السياسية، والعقائدية لأفراد الأسرة الواحدة.

الكلمات الدليلية: كشاجم، الشعر، أهل البيت (ع).

*. عضو هيئة التدريس بجامعة قم – أستاذ مساعد.
**. خريج جامعة قم – مرحلة الماجستير.
Dr_amostafavinia@yahoo.com

تاريخ الوصول: ١٣٩٠/٧/١٦هـ. ش
تاريخ القبول: ١٣٩٠/٩/١٧هـ. ش

www.SID.ir

Archive of SID

المقدمة

شهد القرن الرابع الهجرى فى العصر العباسى مزيداً من الصراعات الفكرية والعقائدية، فتأثرت توجهات الشعراء والأدباء بها، واتخذ بعضهم موقفاً يدعو له ويدافع عنه، ولاسيما فى قضية الولاية والحكم فى الإسلام. وأصبح أهل بيت الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد وفاته، محور التعامل السياسى آنذاك. وكان لواقعة الطف، وما شهدته كربلاء، أثر كبير فى استقطاب الأفكار نحو حقوق أهل البيت (عليه السلام)، فتأسست الخلافة العباسية من نداءات الثأر لهم. ولكن الحكم العباسى استمر فى اضطهاد أهل البيت (عليه السلام) ففى زمن الرشيد أودِعَ الإمام موسى الكاظم(عليه السلام) السجن. وتولى صاحب الشرطة السندى بن شاهک مهمة التضييق عليه، وبعد ذلک قتله بالسم. ولم يفلح السندى رغم محاولاته فى إبعاد تهمة الاغتيال عنه، فاعتبر ذلک وصمة عار فى تاريخه. إلا أن حفيده كشاجم وبعد سنوات، برز شاعراً ليردد:

أعاذِلتــى إنَّ بُــرْدَ التُقى كَسانِيه حُبِى لِأَهْلِ الكِساءِ

(الديوان، ١٩٩٧م: ١٥)

فهاجت ذكريات السندى، وما اجرمه بحق الإمام الكاظم(ع) والتضييق عليه بالقيود والسلاسل، وهو العابد الناسک، وذرية خير الأنبياء، وربما يدفع ذلک السامع إلى أن يدقق ويتابع شعر كشاجم فى أهل البيت (عليهم السلام)، ليتأكد من حقيقته، لكنه سينقلب واثقاً من صدق إحساس الشاعر، واستدلاله بالحجج العقلية والشرعية على حق أهل البيت (عليهم السلام)، والدفاع عن ولايتهم، وبيان أفضليتهم. وهذا ما دفع إلى تناول شعر كشاجم لتصوير حقيقة اعتقاده. لقد كان كشاجم موالياً صادقاً محباً مؤمناً بحق الولاية، ولم يبدُ أىُّ أثرٍ لما يخالف هذا الاتجاهَ الذى اخْتَطَّهُ. ومما يثير الانتباه أن الشاعر بَثَّ أفكارَه وعقائده فى قصائد رثاء أهل البيت (عليهم السلام)، فى حين كان غرضا الوصف والمدح غالبين فى أكثر شعره.

وتظهر أهمية هذا الموضوع، فى إبراز إمكانية اختلاف المواقف السياسية فى الأسرة الواحدة، والتغلب على التعصب الجماعى لمذهب أو رأى معين، وعدم الانصياع للمورث

www.SID.ir

Archive of SID

الفكرى والعقائدى للعائلة، ومخالفته، كما حصل لكشاجم. ويعتبر ديوان الشاعر أهم مصدر لدراسة شعره، فقد دأبت المصادر الأدبية على تجنب الحديث عن الناحية المذهبية والخلاف الطائفى، وربما اتلف كثير مما كتب فى ذلک. والحقيقة فإن هذا البحث لايهدف إلا إلى إظهار شعور الشاعر كشاجم تجاه أهل البيت (عليهم السلام)، من خلال الإشارة إلى طريقة تفكيره وسلوكه وبيانه فضائلَهم وحبَه لهم، وحزنه عليهم، ومقارنتهم بأعدائهم، ثم تأمله بشفاعتهم عند الله عز وجل. فالشاعر لايوجه مدحه ورثاءه إلا لموقف عقائدى يبتعد به عن أساليب المجاملة والتملق والطمع فى العطاء، وهذا ما يعطى لاتجاه الشاعر عمقاً عقائدياً متميزاً، لكونه حفيد السندى بن شاهک. وقد شهد مؤرخو الأدب بجودة شعر كشاجم ورقته، خاصةً براعته فى الوصف، إلا أن شعره السياسى لم يحظَ باهتمام، ولعل هذه المحاولة تساهم فى رسم اتجاهاته العقائدية وإبرازها. وقد اعتمد ديوانه مصدرا أساسيا فى ذلک. فحين ترد الأرقام فقط، فذلک إشارة إلى صفحات الديوان.

التعريف بالشاعر

اسمه وكنيته: محمود بن الحسين بن السندى بن شاهک. (ابن النديم، ١٩٧١م: ١٥٤)، (ابن شهر آشوب، ١٩٦١م: ١٨٣)، (حاجى خليفة: ج١: ٨٠٧)، (الشابشتى، ١٩٦٦م: ٢٦٠)، (ابن العماد الحنبلى، ١٤٠٦ق، ج٣: ٣٧)، (الذهبى، ج٢: ١١٠) وخالف السيوطى الاتفاق على اسمه فقال: إنه محمود بن محمد بن السدىّ. (حسن المحاضرة، ٢٠٠٧م، ج١: ٥٣٠) ويظهر أن السدى تحريف من السندى، أما عن اسمه، فإن الزركلى يرجح هذه التسمية الأخيرة، على أن السندى جد الشاعر كان صاحب الشرطة فى عهد الخليفة العباسى الرشيد، فلابد من أبوين بين كشاجم وجده السندى. إلا أن الاسم السابق هو المشهور، وبه ورد فى مقدمة نسخة قديمة من ديوانه، مكتوبة سنة ٥١٤ق. (مقدمة الديوان: ٧) وكنيته: أبوالفتح. (ابن النديم: ١٥٤)، (الشابشتى: ٢٦٠) وأبوالحسن. كما ذكر ابن العماد (ج٣: ٣٧) أو أبونصر كما فى حسن المحاضرة. (السيوطى، ج١: ٥٣٠) أما شاهک فذكر فى نهاية الأرب «وهى أمُهُ». (النويرى، ٢٠٠٤م، ج٣: ٩٩) لكنه لم يتحدث عن سبب ورود اسم أمه، ولم يبين اسم

www.SID.ir

Archive of SID

والد السندى.

لقبه: كَشاجِم)، وهو منحوتٌ من حروف تشير كل منها إلى موهبة أتقنها صاحب اللقب، الذى أطلقه على نفسه، حيث أشارت الكاف إلى الكتابة، والشين إلى الشعر، والألف إلى الإنشاء، والجيم إلى الجدل، والميم إلى المنطق. وبعد أن تعلم الطب وأتقنه، قيل بأنه أضاف الطاء إلى لقبه، فقيل: طكشاجم. إلا أنه لم يشتهر به. (ابن العماد، لاتا، ج٣: ٣٨) وقال فى تاج العروس: «كُشاجم، كُعلابط (أهمله الجماعة) بضم الكاف. وفَتَحَها بعضُهم.» (الزبيدى، ١٣٠٦ق، ج٩: ٤٦) ويقول الصفدى: «ويقولون كُشاجم والصواب كَشاجم بفتح الكاف.» (تصحيح التصحيف: ٢٨٢) وكذلک ذكر فى تثقيف اللسان. (ابن مكى الصقلى، ١٩٦٦م: ١٣٨)

ولادته وأصله: لم يُذْكَر تاريخ ولادة الشاعر؛ أما مكانها فقد نقل السيد محسن الأمين أنه: «الرملى... وفى معجم الأدباء عن أبى سهل أبى أحمد بن عبيد الله بن أحمد، كان أبوه سجزيا (أى من أهل سجستان) يعلم الصبيان، وولد هو ببلخ فى قرية قَراها، قال: هذا ما ذكره أبو محمد الوزيرى.وله فى كتاب (فى أخبار أبى زيد البلخى) وسمعت أن أباه كان يعلّم بهذه القرية المدعوة شامستيان. وكان أبو زيد يميل إليها ويحبها، لأجل مولده بها، ونَزَعَه إليها حبُ المولد ومسقط الرأس، والحنين إلى الوطن الأول. ولذلک لما حَسُنَتْ حالُه، ودعته نفسه إلى اعتقاد الضياع والأسباب، والنظر للأولاد والأعقاب، اختارها من قرى بلخ. فاعتقد بها ضيعته... وقد كانت تلک الضياع باقية إلى قرب من هذا الزمان فى أيدى أحفاده وأقربائه بالقصبة. ثم إنهم كما أقدّر قد فُنُوا وانقرضوا.» (أعيان الشيعة، ١٩٨٣م، ج١٠: ١٠٣) وقال ابن العماد: «هو من أهل الرملة من نواحى فلسطين.» (شذرات الذهب، لاتا، ج٣: ٣٨) وذكر الزركلى أنه رملى، أى من أهل الرملة فى فلسطين. (الزركلى، ١٩٨٠م، ج٧: ١٦٨) وكذلک ذهب عمر كحالة. (كحالة، لاتا، ج١٢: ١٥٩-١٦٠) وقد اختلف الباحثون فى أصله، فقال عمر كحالة: فارسى الأصل، وزاد الزركلى: «وإن أسلافه الأقربين كانوا فى العراق.» (الزركلى، لاتا، ج٧: ١٦٧) وربّما عوّلا فى ذلک على ما قاله الشاعر فى البيت التالى:

www.SID.ir

Archive of SID

«قَومِی بَنُو ساسـانَ لَیْـ سَ حِماهُمُ بالمُسْـتَباحِ»

(الدیوان: ۵۳)

وهو یفخر بأصله الفارسی، وسجایاه التی أوصلته إلی ما یعتز به فیقول:

شَـهَرَتْ نَـدَای مَناسِـبٌ لی فی ذُرَی کِسْری صریحَةْ
وَوَصَلْـتُ ذاکَ بهمَّـةٍ فی المجد سائبَةٍ طَموحَةْ

(الدیوان: ۵۷)

أما یوسف الیان سرکیس، فذهب إلی أنه هندی الأصل. (الیان سرکیس، ۱۹۲۸م: ۱۵۶۱) وقد یکون قد استند إلی اسم جده السندی.وهذا لایکفی فی الاطمئنان إلی صحة النسب، لأنه کما ذکر فی (الضبط المقال فی ضبط أسماء الرجال): «السندی یسند إلی السند من بلاد الهند، وإلی السندیة قریة قرب بغداد، وإلی قبیلة من الأکراد. ولقبٌ واسمٌ لبعض [منهم] سندی بن شاهک صاحب الحرس.» (حسن زاده: ۱۰۸) ویظهر أن سرکیس لم یکن موفقا فی إرجاع أصله إلی الهند؛ لأن الألقاب لاتدلل دائما علی أصول أصحابها. والصحیح أنه فارسی، لتصریحه بذلک فی شعره، فهو یفخر ببنی ساسان ونسبه الصریح إلی کسری، کما أن المصادر القدیمة لم تُشر إلی أنه هندی الأصل، بل صرح بعضها أنه فارسی الأصل. وفیما یظهر فإن السندی هو اسم ولیس لقب.

نشأته: أبقت المصادر التاریخیة بدایات حیاة کشاجم مجهولة، فلانعرف متی ولد، وکیف بدأت حیاته، ومتی سکن الرملة، وکم عاش فیها؟ (العطیة، ۱۹۹۰م: ۸) ویظهر أن کشاجم کان طباخاً فی بدایة حیاته، وما یؤکد ممارسته للطبخ، کثرة ما ذکره فی أشعاره عن الطبخ والطعام، ووصف المشوی والقطائف والدحاج، حیث یقول:

دَجَاجَةٌ فی سِـمَنِ السَّمَنْدِ بِنَیْلَـة وفخرِهَـا بالهَنْـدِ

[طائر یوجد فی الهند]

عَظیمـةُ الـزورِ کَصَـدْرِ نَهْـدِ أجریـتَ منها فی مجـالِ العَقْدِ
تَفْـرِقُ بیـنَ رِیشِـها والجِلْـدِ وفُصِّلَـتْ أعظاؤُهـا مـن بَعْدِ
حتـی إذا أنْضَجَهـا بالوَقْـدِ صبَّ علیهـا اللوزَ مثـلَ الزَبْدِ

(الدیوان: ۱۰۰)

www.SID.ir

Archive of SID

وقد تنقل الشاعر بين القدس ودمشق وبغداد وحلب والبصرة، حيث يقول عن ترحاله:

هذا على أنَّنى لاأسـتفيقُ ولا　　　أفيقُ من رحلةٍ فى إثْرِها رحلَهْ
وما عَلى البَدْرِ نَقْصٌ فى إضَاءَتِهِ　　　أنْ لَيْسَ يَنْفَكُّ مِنْ سَيْرٍ ومَنْ نَقْلَهْ

(المصدر نفسه: ٢٦١)

ويقول عن مصر حين كان فيها:

متى أرانى بمِصْرَ جَارَهُمُ　　　نَسْبِى بِها كُلَّ غادةٍ خَضِرَةْ

(المصدر نفسه: ١٣٩)

ثم يقول عن العراق فى نفس القصيدة:

يا لَيْتَنى لـمْ أرَ العراقَ ولمْ　　　أسمَعْ بذِكْرِ الأهْوازِ والبَصَرَةْ

وقد أحب الشاعر مصر وعاد إليها وقال فيها:

قَدْ كَانَ شوقى إلى مصرٍ يُؤرقُنِى　　　فاليومَ عُدْتُ وعادَت مَصْرُ لى دَارَا
أغدو إلى الجِيزةِ الفيحاءِ مصطَحِباً　　　طوراً وطوراً أرَجّى السير أطوَارَا

(المصدر نفسه: ١٢٣)

واستقر أخيراً بمدينة حلب عاصمة الحمدانيين، بعد أن أصبح من شعراء أبى الهيجاء عبيد الله الحمدانى، ثم ابنه سيف الدولة الحمدانى، أمير حلب. أما نشأته العلمية فإن المصادر التاريخية لم تورد معلومات عن ذلک، إلا أن قصيدة له يمدح فيها الأخفش الأصغر (على بن سليمان) المتوفى سنة ٣١٥ ق، تبين أنه تتلمذ على يديه. وقد يكون كشاجم «قرأ عليه فى مصر أيام كان الأخفش فيها بين عامى ٢٨٧ و٣٠٦ ق، أو فى بغداد قبل أن يغادرها الأخفش إلى مصر.» (شعراء الغدير، ٢٠٠١م، ج٢: ١٣٧) وقد أشاد الشاعر بقدرة أستاذه العلمية والأدبية، فقال:

إلـى معـدنٍ بالحكمـةِ　　　والآداب ممزوجـهْ
إذا الأخبـارُ حاجَتْـهُ　　　ثناهـا وهـى مَحْجوجَهْ
وكـى يمنَحَنـى تأديـ　　　ـهُ المَحْـضَ وتَخْرِيجَهْ

www.SID.ir

Archive of SID

ومَـنْ تَوّجَنِی مـن عِلـ ـمِـهِ أحسَـنَ تَتْویجَـهْ

(الدیوان: ۴۹،۵۰)

میزاته: یعتبر کشاجم من الشعراء المجیدین، والفضلاء المبرزین، وکان رئیساً فی الکتابة، ومقدّماً فی الفصاحة والخطابة، له تحقیق یتمیز عن نظرائه وتدقیق یربی علی أکفائه، وتحدیق فی علوم التعلیم، أضرم فی شعله ذکائه. فهو الشاعر المفلق، والنجم المتألق.... شعره أنیق، وأرج مدوناته فتیق. (ابن العماد، ۱۴۰۶ق، ج۳: ۳۸) وفی الدیارات: «کاتب ملیح الشعر، رقیق الطبع، حسن الوصف.» (الشابشتی، ۱۹۶۶م: ۲۶۰) وفی معالم العلماء «وکان شاعراً منجماً ومتکلماً.» وقد عده من الشعراء المجاهرین بحب أهل البیت. (ابن شهر آشوب، ۱۹۶۱م: ۱۸۳) وقال فی الفهرست: «وأدبه وشعره مشهور.» (ابن الندیم، ۱۹۷۱م: ۱۵۴) وهو عند الذهبی«أحد فحول الشعراء.» (الذهبی، لاتا، ج۲: ۱۱۰) و«کان مؤلفاً، صَنَّف فی أفانین العلوم، ونادم الملوک.» (ابن خلکان، ۱۹۷۱م، ج۱۰: ۱۰۵) ووصفه فی سیر أعلام النبلاء: «بشاعر زمانهُ، یُذْکُر مع المتنبی.» (الذهبی،۱۹۹۰م: ۳۷۹۱) وفی (أعلام الکلام) أشاد به وقال: «وأما کشاجم فحکیم شاعر وکاتب ماهر، له فی التشبیهات غرائب، وفی التألیفات عجائب. یجید الوصف ویحققه، ویسبک المعنی فیرققه، ویرونقه.» (ابن شرف القیروانی، ۱۹۲۶م: ۲۴) وعلی ما تقدم من شهادات القدرة الشعریة والبلاغیة، فإن کشاجم یعد ممن جمع فن الإنشاء والشعر.

آثاره: لکشاجم کما ذکر صاحب (الدیارات) کتب کثیرة، وتألیفات طریفة، إلا أنه لم یذکر أسماءها. (الشابشتی، ۱۹۶۶م: ۲۰۶) فی حین وردت فی (الفهرست) أسماء ثلاثة من کتبه؛ هی أدب الندیم، کتاب الرسائل، دیوان شعره. (ابن الندیم، ۱۹۷۱م: ۱۵۴) أما فی (کشف الظنون) وفی (مجمع المطبوعات) فقد ذُکِرَ من کتبه: «۱. أدب الندیم؛ (کتاب الندماء ولطائف الظرفاء) ویلیه شرح وتشطیر قصیدة أبی فراس الحمدانی. ۲. دیوانه؛ جمعه أبوبکر محمد بن عبدالله الحمدونی، ورتَّبَه علی حروف المعجم، ثم ألحق به زیادات أخذها عن أبی الفرج بن کشاجم، بعد ما أتم جمع الدیوان.» (حاجی خلیفة، لاتا، ج۱: ۸۰۷) و(الدمشقی، ۱۹۲۸م: ۱۵۶۱) وفی (وفیات الأعیان) فی ترجمة السری الرفاء وهو

www.SID.ir

Archive of SID

شاعر معاصر لكشاجم: «وكان السرى مغرى بنسخ ديوان أبى الفتح كشاجم المشهور، وهو إذْ ذاک ريحانة الأدب بتلک البلاد.» (ابن خلكان، ١٩٧١م، ج١: ٢٥١) وذكر فى (معجم المؤلفين) و(الأعلام) من مؤلفاته: «المصاديد والمطارد، الطبيخ، خصائص الطرب.» (كحالة، لاتا، ج١٢: ١٥٩-١٦٠) (الزركلى، ١٩٨٠م، ج٧: ١٦٨) وفى مقدمة كتاب أدب النديم لكشاجم، ذكر عشرة كتب له. وأن له غير ما ذكر: كتاب البيرزه المظنون أنه لبارزيا العزيز بالله الفاطمى كما أشار إلى ذلک محققه محمد على كرد.كما نسب إليه كتاب (كنز الكتاب) و(الطرديات فى القصائد) والصبيح ولعله محرف من الطبيخ. (العطية، ١٩٩٠م: ١٢،١٣)

وفاتُه: لم تذكر المصادر مكان وفاة كشاجم. ولم يذكر (ابن النديم) ولا (الشابشتى) حتى تاريخ وفاته.إلا أن الآخرين اختلفوا فى تاريخها. فقد ذكر فى (شذرات الذهب): أنه توفى سنة ٣٦٠ق وذكر (السيوطى): أنه من وفيات ما بين سنة ٣٤٥ق و٣٥٤ق. واعتمد (الزركلى) سنةَ ٣٦٠ق أما (يوسف اليان سركيس) فجعلها إما ٣٥٠ق أو ٣٦٠ق. إلا أن (الذهبى) اعتبر وفاته سنةَ ٣٦٠ق. (الذهبى، لاتا، ج٢: ١١٠) أما (الحاجى خليفة) فذكر ديوانَه، فقال: «المتوفى سنة ٣٥٠ق.» (حاجى خليفة، لاتا، ج١: ٨٠٧) ولكنه حين ذكر كتابه أدب النديم قال: «المتوفى فى حدود سنة خمسمائة.» (نفس المصدر، ج١: ٤٩) وتفيد القصيدة التى مدح بها الشاعر الوزير أبا مقلة المتوفى ٣٢٨ق، إنه قد تغيرت حاله حين جاءه الشيب وولى شبابه وقل زواره بعد كثرتهم، فهو يقول:

وإنَّ شَيْبىَ قد لاحَتْ كواكِبُهُ فى ظَلمةٍ من سواد اللّمّةِ الجثلَهْ

[الجثلة: الكثيفة]

وبان منى شبابٌ كان يشفَعُ لى سُــقياً له من شبابٍ بان سُقياً لَهْ

قد كان بابِــىَ للعافينَ منتجعاً ينتابُــهُ ثُلَّــةٌ من بَعْدِهــا ثُلَّهْ

(الديوان: ٢٦٠)

ويبدو أن هذه القصيدة كانت فى أول فترة الشيب والكبر.ويستبعد أن تكون وفاته، قد حصلت بعدها بسنتين، فقد ذُكِرَ أنه: «جاء فى مقدمة ديوانه أنه توفى سنة ٣٣٠ق.» (شعراء الغدير، ٢٠٠١م، ج٢: ١٣٤) إلا أن ابن العماد حين وضع سنة ٣٦٠ق تاريخا لوفاته،

www.SID.ir

Archive of SID

أشار إلى حدوثها فى السنة التى توفى فيها الكاتب المعروف (ابن العميد). (ابن العماد، ١٤٠٦ق، ج٣: ٣٣٨) وهو ما يرجحها على غيرها؛ لأن تاريخ وفاة الشخصيات المعروفة يبقى محفوظا فى أذهان الناس.

شعرُه ونثرُه: يبدو من ديوان كشاجم أن شعره يتميز بخفة الوزن، وسرعته غالبا، وإكثار الوقف فى القافية، أو المد فيها. أما الأغراض؛ فقد أكثر من الوصف ولم يُطِل فيه، وأَكْثَرَ من وَصْفِ الطعام، ولوازم الطبخ، وكذلك الكتابة فى الخمر. وقد كتب فى المدح، ورثاء أبيه وأمه، إلا أن له قصائد فى رثاء أهل البيت (عليهم السلام)، أبرزت عقيدته فى حبهم، وبيَّنَت نظرتَه إلى وقائع التاريخ الإسلامى، وموقفه السياسى من الأحداث والصراعات المذهبية. وبصورة عامة، فقد تنوعت أغراض شعره فى أسلوب سلس العبارة، لكنه عميق المعنى، بعيد المغزى، واسع الخيال، واضح الألفاظ، خفيف الوقع. لذلک عُدّ من فحول الشعراء.كما أن من فنونه، كتابة الإنشاء. فقد كان رئيساً فى الكتابة، ويقول هو عن قدرته الفنية والأدبية فى حسن الخط والإنشاء:

ولى خدمةٌ يَكشِفُ الامتحا   نُ عنها فتحمدُ ما تَمْتَحِنْ
ومَوْشىٌّ خطٍ أضاء بهِ   غرائبُ موشىّ نَسْجِ اليَمَنْ
ومنثورُ لفظٍ كمعروفِکَ الـ   جَميلِ الذى لم يُكَدَّرْ بِمَنّْ

(الديوان: ٣٠٥)

ويبدو أن كشاجم كان ذا موهبة فذة فى صياغة اللفظ، جعلت الآخرين من الشعراء يشيدون بها؛ لتميزها بالدقة والحسن والإيجاز، وهو ما يجذب رواد الأدب والفن اللغوى. ولاشتغال كشاجم بالطبخ والشعر، فقد برز الملح فى أوصافه. فقال فى شذرات الذهب: «وكان يُضْرَبُ بملحه المثل، فيقال ملح كشاجم.» (ابن العماد، ١٤٠٦ق، ج٣: ٣٧) وقد ذُكر (شعر كشاجم) عند كثير من مؤرخى الأدب أمثال؛ الحموى والثعالبى وغيرهما، مما يشير إلى شهرة شعر كشاجم بين أهل الأدب، حيث أوردا البيت التالى وهو لأحد شعراء عصره:

يا بُؤسَ مَنْ يُمْنى بدَمْعٍ ساجِمِ   يهْمِى على حُجَبِ الفُؤادِ الواجِمِ

www.SID.ir

Archive of SID

لــولا تَعَلُّلُــهُ بــكأسِ مُدامَةٍ ورَسائلِ الصابِی وشِعْرِ كَشاجِمِ

(الحموی، لاتا، ج۱: ۱۸۷) (الثعالبی، ۱۹۸۳م، ج۲: ۲۸۸)

وفی (الإعجاز والإيجاز) عن شعر كشاجم: «كان أبوبكر الخوارزمی يقول: أَحْفَظُ فی هجاء المغنين قرابة ألف بيت، ليس فيها أبلغُ وأملحُ وأوجزُ من قوله: ما رَآهُ أَحَدٌ فی دارِ قَوْمٍ مَرَتينْ.» (الثعالبی، ۲۰۰۶م: ۱۰۸)

ويظهر أن كشاجم يميل فی أسلوبه إلى التركيز والاختصار، فقلما يطيل فی قصائده. وكلامه فيه من التنظيم والدقة، ما يجعله ذا منهج واضح.ويلمس ذلک محققُ كتابه (أدب النديم) فيقول: «وقد حرص الرملی وهو يعالج هذه الأبواب على أن يكون منهجيا، وغير مطيل، وقد أشار إلى ذلک فی ثنايا الكتاب مؤكدا رغبته فی عدم الخروج (بالكتاب عن حده).» (العطية، ۱۹۹۰م: ۱۵) وكل ذلک يشهد بقدرته البلاغية.

علاقة السندی (جد الشاعر) مع الإمام الكاظم (عليه السلام): من أصعب أمور الدنيا أن يبتلی الإنسانُ بالظلم مدفوعاً إليه بطمع أو انحرافٍ عن جادة الصواب. والشاعر كشاجم كما تأكد: «أنه من ولد السندی بن شاهک.» (ابن النديم، ۱۹۷۱م: ۱۹۴) «وهو صاحب الحرس(الشرطة).» (اضبط المقال: ۱۰۸) وكانت قدأوكِلَتْ «إلى السندی مهمةُ سجن الإمام موسى ابن جعفر الكاظم عليه السلام فی بغداد.» (ابن خلكان، ۱۹۷۱م، ج۵: ۳۱۰) أيام حكم الخليفة العباسی الرشيد. ويقول الخطيب فی تاريخ بغداد: «حُبِسَ موسى بن جعفر عند السندی بن شاهک، فسألته أختُه أن تتولى حبسَهُ، وكانت تتدين، ففعل. فكانت تلی خدمتَه. فحُكِیَ لنا أنها قالت: كان إذا صلى العتمة، حمد الله، ومجَّدَهُ، ودعاه، فلم يزل كذلک حتى يزول الليل... فكانت أختُ السندی إذا نظرت إليه، قالت: خاب قومٌ تَعرَّضُوا لهذا الرجل.» (الخطيب البغدادی، ۱۹۹۷م، ج۱۳: ۳۲)، إلا أن السندی قسى على الإمام الكاظم (عليه السلام) فی سجنه. واستجاب لأمر الرشيد بقتله. وأَقْدَم على تنفيذه، «وعمدَ إلى رطبٍ فوضع فيه سما فاتكا، وقدمه للإمام، فأكل منه عشر رطبات، فقال له السندی: (زد على ذلک) فرمقه الإمام بطرفه، وقال له: حسبک قد بلغتَ ما تحتاج إليه.» (اعلام الهداية، ۲۰۰۵م، ج۹: ۱۷۳ـ۱۷۴) وقد صوَّرَ الشاعرُ (الفرطوسی) ذلک، فی ملحمة

www.SID.ir

Archive of SID

أهل البيت فقال:

ورآه السـندِیُ حِیـنَ أتاهُ وهو عندَ المحرابِ وقتَ الأداءِ

قال:

إنـی بُلیتُ فی السـجنِ بَلوی بکِ مِنْ دونِ سـائرِ السـجناءِ

[ثم قال:]

أوْدَعُـوهُ طامـورةً قَـطُّ فیها لـم یُمَیَّزْ بینَ الدُجَـی والضِیاءِ

فَسَـقاهُ السِـنْدِیُ فـی رُطباتٍ شـرّ سـمٍّ سـقاهُ مُـرَّ الفَنـاءِ

(الفرطوسی، ۱۹۸۷م، ج۹: ۲۳،۲۸)

ویذکر المؤرخون: أن السندی جدّ کشاجم، حاول التملص من مسؤلیة قتله للإمام الکاظم (علیه السلام)، بعد أن کان قد تخلی عن مهمة قتله، مقربون من الرشید ممن کلفهم، إلا أن السندی لم یفلح فی ذلک. ولا شک أن التورط به، قد قض مضاجع السندی، بحیث أصبح ذلک وصمةَ عارٍ تلاحقُه فی حیاته، وتدفع المقربین إلیه إلی التخلی عن مسؤولیة هذا العمل الشنیع. فکما ذکرت الروایات: «فقد وکّل السندی بشاراً مولاه، وکان من أشد الناس بغضاً لآل أبی طالب، ولکنه لم یلبث أن تغیر حاله، وآلَ إلی طریق الحق، وذلک لِما رآه من کراماتِ الإمام ومعاجزه. وقام ببعض الخدمات له.» (اعلام الهدایة: ۱۶۶) فسیرة الأئمة الطاهرین ومکانتهم المرموقة، لم تَدَعْ عذراً لظالمیهم بالاستمرار فی الغی والجحود. ولعل کشاجم تأثر بما سمعه عن سلوک عمة أبیه مع الإمام الکاظم (علیه السلام)، أو حتی أبیه، لأن (النجاشی) یذکر: بأن معلم أبیه کان (موسی بن إبراهیم المرْوَزِی)، قال عنه النجاشی: «أبوحمران، روی عن موسی بن جعفر (علیه السلام)، له کتاب ذکر أنه سمعه وأبوالحسن (علیه السلام) محبوسٌ عند السندی بن شاهک. وهو معلم ولد السندی بن شاهک.» (رجال النجاشی، ۱۴۲۷ق: ۴۰۷-۴۰۸) کما أن أخت السندی کانت تدعو علی ظلمة الإمام، وتنأی بنفسها من تقبل هذا الظلم، وهو ما یشیر إلی رفضها لهذا الجور بحق أهل البیت (علیهم السلام). وقد یکون ذلک بدایة وعی العقول الغافلة، وتوجهها لرفض مظالم العترة الطاهرة، والدفاع عن حقها، والحزن

www.SID.ir

Archive of SID

لمصابها، وهو الطريق الذى اختاره كشاجم، رافضاً سلوک جده السندى القاتل.

السمات الفكرية للشاعر كشاجم: إن أهم ما يلزم الفرد فى تصرفاته، عقيدتُه وفكرُة فى الحياة. فإذا اختط لنفسه منهجاً يلتزمه، فإن آثار ذلک النهج الذى انتمى إليه تظهر فى سلوكه. فالشاعر يؤكد أنه يريد اتباع الحق ومجانبة الباطل. بل إن أعداء الصواب هم الذين نصبوا له العداء. ولعله فى ذلک يشير إلى توجهاته الفكرية، فيقول:

وما يُعادينى إلا كلُ   مَنْ عادى الصَوابَا
زادنى اللهُ مِن الحِكْمَـ   ـةِ حَظَّاً واكتِساباً

(الديوان: ٣٤)

فهو يؤمن بأن الناس أكفاء، ولابد أن لايحصل الاستبداد حين يتكفل الإنسان فى فترة معينة مَنْصباً أو مهمة معينة. فعليه الإنصاف فى الحكم لأن هذا المنصب، إنما جاء للشخص، فضلاً من الآخرين؛ أما فرصة سنحت له، أو إن ذلک عادة اجتماعية، وهو أن تتحول المناصب من فرد إلى آخر. فعليه أن لايظلم ولايتجبر:

لا تَسْتَبِدْ بما مُنِحْتَ فإنَّما   هى فَلْتَةٌ أو عادَةٌ مُتَحَولَهْ
النـاسُ أكفاءٌ ولكنْ فاتَهُمْ   بالفَضْلِ مأمولٌ أصاخَ مُؤمّلَهْ

(الديوان: ٢٥٣،٢٥٤)

بل إن الشاعر يعَبِّر عن عزة النفس وكرم الأخلاق من خلال التزامه الطريق الصحيح، فيقول:

ولديْنا لِذى المودَّةِ حفظٌ   ووفاءٌ بالعهدِ والميثاقِ
تلکَ اخلاقُنا ونحنُ أناسٌ   هَمُّنا فى مَكارِمِ الأخْلاقِ

(المصدر نفسه: ٢٣٥)

فهو لايرضى لنفسه أن يعيش الذل، بل يدعو على مثل هذه النفس الذليلة أن تلقى موتها قريباً، فهو يكرم نفسه، ويمنعها من الذل فيقول:

فياليتَ نفساً لايصانُ مَصُونها   عن الذُّلِ لاقاهاً وشِيكاً حِمامُهَا

www.SID.ir

Archive of SID

سأُكرم نفساً لايهونُ كَريمها وأحْرِمُها مِنْ أنْ يُذَلّ مُقامُها

(الديوان: ٢٨٥)

فالشاعر يعيش جوا للإخلاص والصراحة وإبراز ما فى النفس، وكلها ترسم سمات العزة وحرية الرأى، فيقول فى إحدى قصائده متحدثاً عن أحد ممدوحية:

ومستهجنٍ مَدْحِى لهُ أنْ تأكّدَتْ لَنا عقدةُ الإخلاصِ والحقُّ يُمدَحُ
ويأبى الذى فى القلبِ إلا تَبَيُّناً وكلُّ إنــاءٍ بالــذى فِيــهِ يَنْضَحُ

(المصدر نفسه: ٥٩-٦٠)

وهو يتمثل القولَ العربى المأثور (فإنَّ الأناءَ ينضحُ بما فِيه)، وكذلک قول زهير بن أبى سلمى:

ومهما تكنْ عندَ امرئٍ من خَليقَةٍ وإنْ خالها تَخفى على الناسِ تُعْلَمِ

وتبرز قوة النفس وصلابة الشكيمة فى نظر الشاعر مع الابتلاء ومواجهته، فالدهر بمحَنِهِ وصعوباته وعدم إنصافه يختبر الإنسان. لكن الحُرَّ الذى لايرضى إلا بالعِزِّ مع القناعة والصبر، سوف يخيِّب مساعى الدهر غير المنصفه، ويجعله لايدرک أهدافه فى التغلب على عزة نفس الشاعر، فيقول:

سَــلْ بى وبالأيــامِ تَعرِفْ أنِّى ابنُ دهــرٍ ليس ينصِفْ

(المصدر نفسه: ٢٢٧)

ويقول:

وقــد بُليتُ بدهرٍ ليسَ يُنْصِفُنى وما عَلمتُ لهُ فى ذاکَ من دَرَک

(المصدر نفسه: ٢٤١)

فالشاعر غنىٌ بحيائه، حُرٌ لايَكونُ عالةً على غيره، بل يحمل أوزاره بنفسه، صابرٌ على الحياة، قانع بما لديه، لايظهر الرغبة إلى الغير بالتملق أو التقرب، فهو يصور امتحان الدهر له فيقول:

فاعملَ الدهرُ فى خَتلِى مَكائِدَهُ والدهرُ يعملُ فى أهلِ الهَوى خَتْلَهْ
لكنْ قَنَعْتُ فلمْ أرغبْ إلى أحَدٍ والحُــرُّ يَحمِلُ عن إخوانِــهِ كَلَّهْ

www.SID.ir

Archive of SID

أقنــى الحياءَ فاســتغنى بهِ فإذا أعلَّ قومٌ بحُسْــنِ الصَبرِ لى علّهْ

(المصدر نفسه: ٢٦١)

فمصائب الدهر ومكائد الحياة تحارب من يريد أن يحيا بقناعة وحياء، وتتجاوب وتسالم مع من يريد التسلط والوقاحة والجور، فى نظر الشاعر. ومع ذلک فلابد له، أن يبقى ساعياً نحو حقه، حتى إذا لم يكن نصيبه النجاح. فالذى يجب عليه هو السعى، أما تحقق ذلک فعلى الله عزَّ وجل. وفى هذا المعنى يؤكد مفهوم الآية الكريمة: ﴿وأنْ ليسَ للإنسانِ إلا ما سعى﴾ (النجم: ٣٩) فيقول:

ولقدْ عَجِبْتُ مــنَ الليالى كيف هاضَتْ من جَنَاحِى

[هاض: كسر. وهاض من الجناح: كناية عن الإذلال]

لكنهــا حــرب الحيــ ـيِّ وسِلْمُ ذى الوَجْهِ الوقاحِ

وعلــىَّ أنْ اســعى وليــ ـسَ علــىَّ ادراکُ النجــاحِ

(الديوان: ٥٤)

ويبين الشاعر كيف أن الأمور تلتبس على الإنسان فى الحياة، فينخدع بالباطل، وتنقلب الحقائق لديه، فيقول متحدثاً عن الدهر:

يريکَ وجوهَ المكرماتِ ضواحكاً ويوضحُ مســودّ الأمورِ فَيَبْيَضُ

وكَمْ خَفَقَ الأمرَ الذى هو باطلٌ وكَمْ دَحَضَ الحقَّ الذى مالَهُ دَحْضُ

(المصدر نفسه: ٢٠١)

ومن منطلق عدم الانخداع بأحابيل الدهر وخدع الزمان، لابد فى نظر الشاعر من أن يدقق فى حقائق الأمور، ويعرف الحق كما هو، ويلتزمه، ويبتعد عن الباطل ويستنكره. ومع معرفة الشاعر بتصرف جده (السندى بن شاهک) مع الإمام موسى الكاظم (عليه السلام)، ومع اضطراب الأفكار والآراء فى ذلک العصر، بين طامع فى الدنيا ومنحرف مع هوى الباطل وإغراءاته، وبين متمسک بالحق، متحمل للمتاعب والمضايقات فى فترة الحكم العباسى، إلا أن الشاعر عبَّر عن وقوفه إلى جانب الحق الساطع الذى يمثله الولاء لأهل البيت (عليه السلام). فهو مع بقائه فى (حلب) حاضرة الحمدانيين آنذاک،

www.SID.ir

Archive of SID

والذين عرف عنهم تشيعهم، إلا أنه كما يظهر، تنقّل فى عدة بلدان ومناطق كان يُعانى فيها من وجود أفكار الانصياع للحاكم والتخلى عن مساندة أهل البيت (عليهم السلام)، ولكن رغبته فى التزام الحق جعلته متمسكاً به، منشداً لقصائد وأبيات عبرت عن ولاء صادق، ومحبة حقيقية، حتى إن (ابن شهرآشوب) عدّه «من شعراء أهل البيت.» (آغا بزرگ الطهرانى، لاتا، ق۴: ۳۱۶)

بيان فضائل أهل البيت (عليهم السلام): إن اختيار أى اتجاه عقائدى، لابد أن يكون مبنياً على ميزات وصفات يتميز بها ذلك الاتجاه. فالولاء لأهل البيت يتطلب معرفة خصائصهم، وما امتازوا به من الصفات والمناقب والمكارم حتى أصبحوا فى نظرهِ هُمُ الأفضل والأجدر بالاتباع، والأكثر استحقاقاً للطاعة لهم، والاسترشاد بهم. بل إن ذلك هو ما يأمر به الخالق عزوجل، وما تريده الرسالة المحمدية السمحاء. فلا معنى لاتباع المفضول مع وجود الأفضل. وعلى هذا الأساس انكشفت الأمور للشاعر فى مقارنته بين أهل البيت (عليهم السلام) ومناوئيهم. فهو يجد فى ذرية الرسول الكريم (ص) ما يجده فى جدهم المصطفى. وأولى الفضائل هى الطهارة والعفة، استناداً إلى الآية الكريمة: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾ (الأحزاب: ۳۳) فيقول فى ذلك:

وخَيْرَةِ ربِّى مِـنَ الخيرَتَيْنِ   وصفوة ربِّى مـن الأصفياءِ
طَهُرْتُمْ فَكُنْتُمْ مَديحَ المديحِ   وكان سـواكُمْ هِجاءَ الهجاءِ

(الديوان: ۱۷)

فقد استحق أهل البيت المديح لأنهم الذين اصطفاهم الله، وميزهم عن غيرهم باذهاب الرجس عنهم وتطهيرهم الكامل المؤكد، وبذلك استحق من عاداهم الهجاء التام الأكيد، فقال:

هُـمُ حُجَـجُ اللهِ فـى خَلْقِهِ   ويومَ المعـادِ على من خَذَلْ
ومـن انـزل الله تفضيلَهُـمْ   فـزادَ علـى اللهِ ما قـدْ نَزَلْ
فجَدُهُـمُ خاتـمُ الأنبيـا   ءِ يَعْـرِفُ ذاکَ جميعُ المِلَلْ

www.SID.ir

Archive of SID

ووالدُهُمْ سـيّدُ الأوصياءِ وَمُعطى الفقيرَ ومُرْدِى البَطَلْ

(المصدر نفسه: ٢٧٢)

فبالإضافة إلى فضل انتمائهم إلى نبى الإسلام ووصيه، فقد امتازوا بالعطاء والكرم والشجاعة.ثم يتطرق إلى ميزة مهمة فى تولى القيادة والولاية ألا وهى صفة المعرفة الراقية، فاتصافهم بالعلوم العالية والتى لايستطيع غيرُهم أن ينالها، باعتبارها علوماً سامية، يجدر بالمسلمين أن يستفيدوا من أصحابها، فبها ينالون الرفعة والتقدم. فيقول:

هـلالٌ إلى الرُشْـدِ عالى الضِّيا وسيفٌ عَلَى الكفرِ ماضى المضاءِ
وبحـرٌ تَدَفَّـقَ بالمعجـزاتِ كمـا يَتَدَفَّـقُ يُنْبُـوعُ مـاءِ
علـومٌ سـماويةٌ لاتُنَـالُ ومَـنْ ذا يَنـالُ نجومَ السـماءِ

(المصدر نفسه: ١٦)

ويذكر الشاعر فضيلة أخرى، وهى المواقف العملية المتصفة بالشجاعة وعدم الخوف فى وجه الكفر والنفاق، والصمود فى أحلك الأوقات وأصعبها، وعدم الانغرار بالدنيا:

ومَنْ عَلّمَ السُمْرَ طَعْنَ الحلى لذى الرَوْعِ والبيضَ ضربَ القُلَلْ
ولو زالـتِ الأرضُ يومَ الهيا جِ من تحتِ أخمصِهِ لمْ يُزَلْ
ومن صدَّ عـن وَجْهِ دنياهُمُ وقد لبسَـتْ حلْيَهـا والحُلَلْ

(المصدر نفسه: ٢٧٢)

فهو يشير إلى فضائل الشجاعة والثبات والزهد فى الدنيا وطلب الآخرة، وعدم الخوف فى وجه الكفر والنفاق فى المواقف العملية. فيقول:

وكمْ موقفٍ كان شخصُ الحِمامِ مِنَ الخَوفِ فيـهِ قليلَ الخفاءِ

(المصدر نفسه: ١٦)

ثم ينتقل إلى المعاجز والكرامات التى جرت على يد الإمام على بن أبى طالب (عليه السلام)، وما هذه المعاجز إلا لمن أنكر مكانته، وجحد حقه، فيقول:

جـلاهُ فـإن انْكَـرُوا فَضْلَهُ فقد عَرَفَتْ ذاكَ شمسُ الضحاءِ
أرَاهَا العجـاجَ قبيلَ الصباحِ ورَدّتْ عليـه بُعَيْدَ المَسـاءِ

www.SID.ir

Archive of SID

(نفس المصدر)

لقد أوضح (الإمام علی) الحقّ لهم، لكنهم أنكروا فضله، إلا أن شمس الضحی عرفت عظمته، فقد أرى هذه الشمس عجاج التراب فی حروبه ضد الكفر، متقدماً إلی القتال قبيل الصباح، وهو الدليل علی إقدامه وهمته. وقد ردت عليه الشمس بعد أن غربت، فی حادثه رد الشمس المعروفة، وهی من المعاجز. حين يقول فی قصيدة أخری:

ومَــن ردّ خالقُنا شمسَــهُ　　عليه وقــد جَنَحَتْ للطّفَلْ
ولو لــم تَعُد كان فی رأيهِ　　وفی وَجْهِهِ من سَنَاهَا بَدَلْ

(الديوان: ۲۷۳)

والشاعر يبين فضيلة الدفاع عن الدين فی بداية ظهوره ومواجهته للكفر بالسيف، حين حاربه رأس الكفر أبوسفيان، بينما ناصره الإمام علی (عليه السلام):

حاربه القــومُ وهو ناصِرُهُ　　قِدْماً وغَشّوهُ وهو ناصِحُهُ
وكمْ كَسَا منهُمُ السيوفَ دَماً　　يومَ جلادٍ يُطيــحُ طائِحُهُ

(المصدر نفسه: ۷۲)

كما بيّن الشاعر بأن أعداء أهل البيت (عليهم السلام) حين يخفون فضل أهل البيت فإن ذلک لايضرهم؛ لأن القرآن الكريم هو الناطق بفضلهم، سواء الآيات الصريحة الواضحة، أو ما احتاج إلی تفسير. فيقول:

أو تَكتِموا فالقرآنُ مُشكِلُهُ　　بفضلِهِمْ ناطقٌ وواضِحُهُ

(المصدر نفسه: ۷۲)

ويستعرض الشاعر فضائل أهل البيت (عليهم السلام) فی عبارات موجزة معبّرة، ينتقل بها من فضيلة الشرف والعلم والحلم والبلاغة إلی الوقوف إلی جانب الرسول الأكرم صلی الله عليه وآله وسلم، فی دفع المصاعب النائرة عنه بالسيوف التی حمت الإسلام، ثم يبين فضله فی الزهد بالدنيا، والتوجه لرضا الله فی الآخرة، التی كانت جزاءً حسناً لهم، حين أقبلوا عليها:

آلُ النبــیِ فَضَلْتُــمُ　　فضلَ النُجُومِ الزاهِرَةْ

www.SID.ir

Archive of SID

وبَهرْتُـمُ أعْداءَكُـمْ بالمأثِـراتِ السـائِرةْ
ولكم مع الشـرفِ البلا غَـةُ والحلـومُ الوافِـرةْ
وإذا تُفُوخِـرَ بالعُـلاَ مِنْكُـمْ عَلاَكُـمْ فَاخِـرَةْ
هـذا وكَـمْ أطْفَأتُـمُ عَـنْ أحْمَـدٍ مِـنْ نَائِرَةْ
بالسُّـمْرِ تُخْضَبُ بالنَجيـ ـعِ وبالسُّـيوفِ البَاتِـرَةْ
تُشْـفِى بهـا أكبادُكُـمْ مِـنْ كُلِّ نَفْـسٍ كَافِـرَةْ
ورَفَضْتُـمُ الدُّنْيـا لِـذا فُزْتُـمْ بِحَـظِّ الآخِـرَةْ

(المصدر نفسه: ١٣٠)

وهذه الميزات والصفات الفريدة هى التى جعلته يعتقد اعتقادا قلبيا بعظمة أهل البيت. ويهفو إلى محبتهم مؤمنا بها، غير مخادع أو مجامل بالرياء، لأن ما ذكره من حجج يبين حقيقة الاعتقاد وأصالته.

الاعتقاد بحب أهل البيت (عليهم السلام): بتأكيد الشاعر على فضل أهل البيت عليهم السلام، يبين عمق إيمانه بالولاء لهم، واتباعهم، قناعةً منه باستحقاقهم لذلك الاتِباع. فهو يرد على من يلومه أو يعذله على هذا الانتماء، ويرجعه إلى أساس الحب لأهل الكساء، الذين كساهم الرسول الأكرم معه، وأوصى بهم فهو يشير إلى حديث الكساء، فيقول:

أعاذلتـى أنَّ بُـرْدَ التُقَى كَسانِيهِ حُبى لأهلِ الكِساءِ
سـفينةُ نوحٍ فمـنْ يَعْتَلِقْ بِحُبهُـمُ يَعْتَلِـقْ بالنّجَـاءِ

(الديوان: ١٥)

فحب أهل البيت (عليهم السلام) يبتنى أساساً على التقوى، واتباع أقوال الرسول الأكرم، ووصاياه فى حديث الكساء وحديث سفينة النجاة التى نجا من ركبها وهلك من تركها. لقد قضى الشاعر واجب حب أهل البيت، فقد دعا الرسول الأكرم إلى أن يصيب المؤمن فضل حب آله. فالشاعر ينظر إلى هذا الحب باعتباره واجباً دينياً من ناحية، وشرفاً للمؤمن به من ناحية أخرى. فمدح آل البيت واجب على كل مؤمن:

قَضَيْـتُ بِحُبِكُمُ ما عَلىَّ إذا ما دُعِيتُ لِفَضْلِ القَضاءِ

www.SID.ir

Archive of SID

(الديوان: ١٧)

ثم يشير الشاعر إلى أن حب على بن أبى طالب (عليه السلام) مجلبة للغنى. فهو غنى النفس وعزتها ورفضها لزخرف الدنيا، وغرورها، كما عُهد عنه (عليه السلام) وآله أعزةً كرماء، يستهينون بالدنيا، وكذلک شيعتهم الحقيقيون. فيقول رداً على ادعاءات أعدائهم:

زَعَمُوا أنَّ مَنْ أحَبَّ عَلياً ظَلَّ للفَقْرِ لابساً جِلْبابا
كَذِبُوا مَنْ أحبَهُ مِنْ فَقيرٍ يَتَحَلَّى من الغِنى أثوابا
حرَّفوا منطِقَ الوَصِيِّ بمعنى خالَفُوا إذْ تأوَلُوهُ الصّوابا
إنَّمَا قالَ فارفُضُوا عنكُمُ الدُنْـ ـيا إذا كنتُمُ لنا أحْبابا

(الديون: ٢٦)

ولعل ما أشار إليه الشاعر من ادعاء لفقر الموالين لأهل البيت (عليهم السلام) مادياً، يرجع إلى كثرة التضييق عليهم من قبل الولاة المعادين لهم. فكم من ظلم أوقع على اتباع أهل البيت استوجب حرمانهم من حقهم فى الكسب، وتحسين أوضاعهم، ولكن مع ذلک فان غنى النفس هو الميزة التى يراها الشاعر فى محبى أهل البيت، فهم لتقواهم لايتجهون إلى حب الدنيا وملذاتها، فالتقوى والتعلق بالدنيا لايتفقان. وهذا ما أراده الإمام الوصى على بن أبى طالب (عليه السلام) فى منطقه وكلامه. لكنهم حرَّفوا كلامَه، فادَّعَوا أن حبَّ عليٍ مجلبٌ للفقر. ويشير الشاعر فى موضع آخر إلى أن حب الوصى هو برٌّ وإحسان وصدق فى الصلة بالوصى. وهى كفيلة بطهارة أهل المحب، كما أن أهل العلم معروفون بحبهم للوصى، فى حين يجحَدُ حقَهُ الجاهلُ. فالتشيعُ ظاهرٌ منظورٌ شائعٌ فى طبقة الأسياد والوجوه البارزة، فى حين أن نصب العداء لعلى (عليه السلام) منظور بين أراذل الناس وسفلتهم، فقد عُرِفَ طاهرُ الأصل من حب على(ع). وروى عن أنس بن مالک قال: «ما كنا نعرف الرجل لغير أبيه إلا ببغض على بن ابى طالب.» (ابن مردويه، ١۴٢۴ق: ٧۶) حيث يقول الشاعر مشيرا إلى هذا المفهوم:

حبُ الوصـيّ مبرَّةٌ وَصْلَهْ وطَهارَةٌ بالأصْـلِ مكتَفلَهْ
والنـاسُ عالِمُهُمْ يَدينُ بهِ حُبّاً ويَجهَـلُ حَقَهُ الجَهَلَهْ

www.SID.ir

Archive of SID

ويُرى التشــيعُ فى سُراتِهُمُ　　　والنَصبُ فى الأرذَالِ والسّفَلَهْ

(الديوان: ٢٦٥)

والشاعر بهذه المقارنة بين المحب والمبغض، يبين أثر نعمة الحب لآل البيت، وربما أشار بذلک إلى أحاديث الرسول الأكرم حين سئل عن على فقال: «ذاک خير البرية، لايبغضه إلا كافر.» وقد ورد هذا الحديث عند أهل السنة فى موارد عديدة، بألفاظ متقاربة. (العسكرى، ١٤١٣ق، ج١: ٦٤) وفى قصيدةٍ حول أحد أصدقائه، يعتز كشاجم بأنه وصديقه، كلاهما يحبان الرسول الأكرم، ووصيه على بن أبى طالب (عليه السلام)، وبضعته الزهراء البتول سلام الله عليها، وهو بذلک يشير إلى مبدأ أخوة الشيعة، فيقول:

أنفــسٌ مؤتلفــةٌ بالإخــاءِ　　　كلُّهــا تَدينُ بحبِ الرســولِ
فارجُ الظلامِ وهادى الأنامِ　　　والوَصِيِّ صاحِبِــهِ والبَتُولِ
فَضْلُ هــذا لِصاحِبِــهِ والـ　　　عَدُو مكتئبٌ قَلْبُــهُ بالغَلِيلِ
بَيْنَنــا مُواصَلَــةٌ لايُبَــتُّ　　　حَبْلُهــا بقــالِ عَــدو وَقِيلِ

(الديوان: ٢٥١)

فالشاعر يعد حب الرسول وآله، فضل له ولصديقة فى حين أن عدوهما قلبه حزين لم يشتف غليله. فعلاقة حب أهل البيت تقوى الصلة بينه وبين صديقه، بحيث لايقطعها القيل والقال من قبل الأعداء والحاقدين.ولابد أن نستشعر أثر البيئة الاجتماعية فى التوجيه إلى موضوعات معينة وأسلوب تناولها. فالشعراء أثناء لقائهم فى الاجتماعات الخاصة والعامة، يتأثرون ببعضهم، ويلتفتون إلى ما جذب انتباه اقرانهم.ففى فترة الدولة الحمدانية بحلب أو ما تلاها من ظهور للحركات المؤيدة لأهل البيت، نجد أغلب الشعراء المعروفين قد تطرقوا فى قصائدهم إلى الولاء لأهل البيت؛ لأن ذلک مبنى على قناعة عقلية بأفضليتهم، التى أيدها العقلاء وأهل الشرف والنجباء، الذين لايرتضون لمن لايستحق الوصول إلى الحكم، أن يتسلق على حقوق الجديرين به. فقد جاءت الحجج قوية قاطعة. وربما فسر أحمد أمين قوة الأدلة على حق أهل البيت، بالقوة البلاغية. فيقول: «فأئمة الشيعة قد وهبوا لسانا ناطقا، وقولا عذبا، فأثرت عنهم الخطب الرنانة،

www.SID.ir

Archive of SID

والكتب التی تقرب من حد الإعجاز، والأجوبة القصيرة التی جمعت بين إصابة المعنی وإيجاز اللفظ.» (أمين، لاتا، ج۳: ۳۰۲) ولا شک أن شعراء الشيعة تأثروا بأئمتهم لأنهم اقتنعوا فأخلصوا، فحين يقارن أحمد أمين شعرهم بشعر مناوئيهم يعترف ويقول: «وكان شعر الشيعة أحر وأقوی؛ لأن مبعثه الإخلاص غالبا. فليس لأئمة الشيعة ما يكافئون به كثيرا.» (نفس المصدر: ۳۰۴) فی مقابل البذل، فی عطاء الحكام والولاة المتسلطين لشعرائهم. ويا ليته اعترف بقوة الادلة العقلية، إلی جانب بلاغة المنطق. فلذلک نجد أن مدح أهل البيت ظاهرة واضحة بين أهل العلم والعقل والشرف، اتسمت بالصدق والإخلاص لله والدين. وهذا ما أكده الشعراء أنفسهم، فالسری الرفاء وهو شاعر معاصر لكشاجم يقول:

آلُ النَبیِّ وجَدْنا حُبَكُم سَبَباً — يَرْضی الالهُ بهِ عَنا ويُرْضِينا
فمـا نخاطِبُكمْ إلا بسـادَتِنا — ولانُنادِيكُـمُ إلا مَوالينـا
ومـا نُبالی بـذمِ الأغبياءِ إذا — كان اللبيبُ مِنَ الأقوامِ يُطْرِينا

(السری الرفاء، ۱۹۶۶م: ۴۵۴)

فتَقدُمُ أهل البيت بالفضل أمرٌ واضح جلی، وإنما يذكره الشاعر ليبين مدی الغبن الذی وقع عليهم، والجور الذی أثر علی مشاعر الشعراء، فجعلهم يتنافسون فی بيان شدة تأثرهم به. والصنوبری وهو من معاصری وأصدقاء كشاجم يقول فی رثاء الحسين عليه السلام:

يا مَنْ هُو الصَفْوَةُ فی هاشمٍ — يَعْرِفُهـا الأولُ والآخِـرُ
ذا الشاعرُ الضبّی يَلقی بِكُمْ — ما ليـسَ يَلقی بِكُمُ شـاعِرُ

(الصنوبری، ۱۹۹۸م: ۱۲۰)

فلذلک ظهر التشابه فی تناول شعراء أهل البيت لقضاياهم، مبنيا علی حقائق مُسَلّمٌ بها عندهم، منها التسليم بالأفضلية لأهل البيت، وعظمة الظلم الذی وقع عليهم، ثم شدة الحزن لمصائبهم، وارتباط ذلک كله بأمر الدين، ورضی الله ورسوله الأمين. فمنذ أن برز الكميت، والسيد الحميری، ودعبل الخزاعی وبعدهم الصاحب بن عباد، وأبوفراس

www.SID.ir

Archive of SID

الحمدانی، وابن هانی الأندلسی، والشریف الرضی، ومهیار الدیلمی، والصنوبری، وغیرهم، وحتی کشاجم، نجدهم ینهجون طرقا متماثلة فی بث الأفکار والأدلة علیها، ثم التعبیر عن الحزن والألم، وإن اختلفوا فی مقدار تناولهم وصراحتهم فی الإشارة إلی ما حصل من تجاوزات، حسب ما تسمح به أوضاعهم الاجتماعیة والسیاسیة. لذلک نجد ابن شهر آشوب یقسمهم إلی: مجاهرین، ومقتصدین، ومتقین، ومتکلفین. (ابن شهر آشوب، ۱۹۶۶م: ۱۶۲-۱۷۰) وکان کشاجم من المجاهرین، لأنه ممن صرح بانتقاد من تعدی علی حق أهل الولایة، ووقف ضد حرکة النواصب، وفند ادعاءاتهم وافتراءاتهم، ودافع عن العترة الطاهرة، أمثال: السید الحمیری، والصاحب ابن عباد، ومهیار، وغیرهم.

الحزن لمصائب أهل البیت علیهم السلام: لقد عانی الأئمة الأطهار، وأهل بیت الرسول الأکرم، ألوان المتاعب والمصاعب بل المصائب والفواجع الکثیرة، وذلک للعداء الذی نصبوه لهم آلُ أمیة بالخصوص، وغیرهم ممن جحدوا الحق وأنکروه. فالتاریخ الإسلامی یشهد بما حصل من تجاوز علی حق الإمام علی (علیه السلام)، والتبریرات التی أطلقت بهذه الحجة أو تلک. إلا أن الحقیقة لاتقبل الخفاء. فما تعرض له آل النبی (ص)، أثار الحزن والألم. ولم یجد الشعراء الموالون إلا أن یبثوا أحزانهم فی قصائدهم، بإحساس صادق، لما شعروا به من ظلم، وقع علی مَن أذهب الله عنهم الرجس، وفضلهم وأوصی بهم. فالشاعر کشاجم یبرز فی نطقه، مفردة (بکاء) وهو تعبیر عن عمق الحزن، وإن کان البکاء قلیل الجدوی والفائدة والغناء، لأن المصاب کبیر، فهو مصاب ذریة الأنبیاء، وما أعظمه من رزء، یسترخص الدموع الغالیة. فلابد أن یکون هذا العزاء عظیماً. وبهذا الحزن المعبّر، یرثی کشاجم أهل البیت فی مصائبهم، ویصرح بلوعته فیقول:

بُـکاءٌ وقَلَّ غَنـاءُ البُکاءِ علی رُزْءِ ذُرِّیَـةِ الأنبیاءِ
لَئِنْ ذَلَّ فیه عزیزُ الدموعِ لقد عَزَّ فیه ذَلیـلُ العزاءِ

(الدیوان: ۱۵)

ویقول فی موضع آخر:

أجَلْ، هو الرزءُ جلَّ فادِحُهُ باکِـرُهُ فاجـعٌ ورائِحُـهُ

www.SID.ir

Archive of SID

لا رَبْعُ دارٍ عَفا ولا طَلَلٌ أوحَشَ لما نَأتْ مَلافِحُهُ
فجائعٌ لو دَرى الجَنينُ بِها لَعــادَ مبيَضَةً مَســالِحُهُ

(المصدر نفسه: ۷۰)

وهنا يؤكد الشاعر على عظمة الفاجعة، فهی قاسية بليلها ونهارها، أكثرُ وحشةً من أی مكان آخر، بقی أثراً بعد أن هُجر، لقد شهدت هذه الموقعة فی كربلاء ما يشيب الجنين، من شدة المصيبة:

وتُردِی الحسينَ سيوفُ الطُغا ةِ ظَمــآنَ لمْ يُطْفِ حَرَّ الغُلَلْ
ثوى عَطِشــاً وتَنــالُ الرِما حُ مــن دَمِــهِ عَلَّهــا والنَهَلْ

[العل: الشرب تباعا. النهل: الشرب جرعة واحدة]

ولمْ يَخْسِفِ اللهُ بالظالمينَ ولكنّــهُ لايَخــافُ العَجَلْ
لقد نَشَــطَتْ لِعناد الرسولِ رجالٌ بها عن هُداها كَسَلْ
فلا بوعِدَتْ أعينٌ مِنْ عَمیً ولا عُوفِيَتْ أذرعٌ مِنْ شَلَلْ
نَظَــارِ بــأنّ بَنــاتِ النَبِـ ـی السَّبايا ومالَ النبیِّ النّفَلْ

[نظار: اسم فعل أمر بمعنی انظر. النفل: الهبة والزيادة]

(المصدر نفسه: ۲۷۳)

فما أشد أن يقع مالُ النبی الذی كان لبناته فی كربلاء، هبةً وسلباً لغيرهن، بعد أن أرْدَوا الحسين عطشاناً مضمَّخاً بالدماء، وأی صريع هذا غير حبيب النبی الذی تروی الروايات عن حب الرسول الأكرم له. «فعن حذيفة قال رأيت رسول الله (صلی الله عليه وآله وسلم) أخذ بيد الحسين بن علی فقال: أيها الناس، جد الحسين أكرم علی الله من جد يوسف بن يعقوب. وإن الحسين فی الجنة، وأباه فی الجنة، وأمه فی الجنة، وأخاه فی الجنة، ومحبهم فی الجنة، ومحب محبهم فی الجنة.» (ابن مردويه، ۱۴۲۴ق: ۷۳) والشاعر يصوِّر البلاء العظيم الذی وقع بأهل البيت فی كربلاء، حين سُبِیَ عيال النبی الأكرم، بدفع من الشيطان الذی خوّل لأنفسهم الوقيعة بأهل البيت، بعد أن ركب هؤلاء الجناة الخطايا، وساروا بأمرة إبليس:

www.SID.ir

Archive of SID

مَطايا الخَطايا خِدى فى الظلامِ   فما هَمَّ إبليسَ غيرُ الحِدَاءِ
لقد هَتَكَتْ حُـرَمُ المُصطَفَى   وحـلَّ بهـنّ عظيـمُ البَلاءِ
وسَـاقُوا رِجالَهُـمُ كالعبيـدِ   وحَـاذُوا نِسـاءَهُمُ كالإماءِ

[حاذوا: ساقوا]

(المصدر نفسه: ۱۶)

وأىُّ مصيبةٍ أشدُّ ألماً على الرسول الأكرم من أن يساق أبناؤه وبناتُه أسارى مقيدين، وقد هتكت أستار حرم بيت النبى، الذى يفترض الشاعر أنه لو كان موجوداً وشاهداً معهم هذا السبى، لتَبعهم فى المشى، باكياً متألماً، وهو تصوير يثير الحزن والأسى، عند كل مسلم مؤمن لما لقاه الرسول الأكرم من لوعة وألم فى عياله وأهل بيته:

فلَو كانَ جَدُّهُمُ شاهداً   لَتَبَّـعَ أظعَانَهُم بالبُكاءِ

(المصدر نفسه: ۱۷)

إنه يصوّر حزن خاتم الأنبياء حبيب الله، وهو يتتبع مسير ظعن السبايا، باكياً حزيناً، لايقوى على النظر إلى بناته بتلك الحالة المؤلمة، فلايدنو منهن لتألمه من حالتهن المفجعة، فهو متعلق بعياله يتابعهم أينما ذهبوا، فى كل حركة أو توقف، فقد جاءت مفردة (لتَبَّعَ) لتوحى بالمواصلة فى الملاحظة والرفقة وعدم الابتعاد، وهذا ما يبين عمق الصلة والتعلق بالعيال والتأثر الشديد لحالهم. ثم يصور الشاعر ما حصل فى كربلاء من قتل وزهق للأرواح وتطاير الرؤوس:

غَداةَ خميسُ امـامِ الهُدَى   وقَدْ عاثَ فيهم هِزَبْرُ اللقاءِ
وكَمْ أنفسٍ فى سعيرٍ هَوَتْ   وهـامٍ مُطيَّـرةٍ فـى الهواءِ
بضربٍ كما انقدَّ جيبُ القميصِ   وطعْنٍ كما انحلَّ عَقْدُ السِقاءِ

(المصدر نفسه: ۱۷)

فقد مُزِّقت الثياب بضرب السيوف، وقطعت أربطةُ قِرَبِ السقاء، وكل ذلك فى هذا المعركة التى أشعلها أعداء الحق، ظلما وعدوانا على بيت النبوّة، فزُهقت الأرواح ليبقى بنوامية متسلطين على رقاب الناس. ويشير إلى كثرة مصائب أهل البيت (عليهم السلام).

www.SID.ir

Archive of SID

فيبين كثرة ما تحمله آل الرسول، فقد اجتاحتهم المصائب التی أنْ فكَّرتَ فيها، فإنها تشعل الهموم:

يابؤسَ دهرٍ على آلِ رسولِ اللهِ تَجْتاحُهُمْ جَوائِحُهُ

[جائحة: مصيبة]

إذا تَفَكَّرْتَ فی مَصائِبِهِمْ أثقَبَ زَنْدُ الهموم قادِحُهُ
بعضُهم قُرِّبَتْ مَصارِعُهُ وبعضُهم بوعِدَتْ مَطارِحُهُ

(المصدر نفسه: ٧٠)

إنه يذكر مصائب أهل البيت، وكيف أنهم لاقوا مصارعهم، سواء كانت قريبة أو بعيدة، ثم يُعَرِّجُ على المصيبة العظمى فی كربلاء:

أظلمَ فی كربلاءَ يَوْمُهُمُ ثم تَجلی وهُمْ ذبائِحُهُ
ذُلَّ حماهُ وقَلَّ ناصِرُهُ ونالَ أقصى مُناهُ كاشِحُهُ
وسِيقَ نسوانُهُ طلائحَ أحسن أنْ تَهادی بِهِمْ طَلائِحُهُ

[الطليح: الضعيف المهزول]

وهُنَّ يُمْنَعْنَ بالوَعِيدِ من النـ ـوْحِ والملأُ الأعلى نوائِحُهُ
عادَ الأسی جدَّهُ ووالدَهُ حينَ استغاثَتْهُمَا صَوائِحُهُ

(المصدر نفسه: ٧٠)

إن تصوير ما جرى فی كربلاء من ذبح، وفقدان الناصر، وسوق النساء أسيرات متعبات، ممنوعات من النوح، هذا المنظر أَحزن أهل السماء، فجعلهم ينوحون على الحسين (عليه السلام) وأهل بيته، وأعاد الأسی والحزن إلى جده الرسول الأكرم وأبيه (على بن أبی طالب) بعد أن علت استغاثة بنات الرسالة بهما. إنهم يستغيثون بجدهم محمد، وليس هو إلا رسول الله. فقد نقل الشاعر مظاهر المعاناة وأثرها على الرسول الأكرم وأهل بيته، مما يثير الحزن فی المتلقی، ويجعله يشعر بعظم ما حدث فی كربلاء.

المقابلة بين الحق والباطل: عكف الشاعر فی أكثر أبياته حول أهل البيت (عليهم السلام) وحقوقهم المهدورة، على تصوير التقابل بينهم وبين أعدائهم، حتى يضع المتلقی

www.SID.ir

Archive of SID

أمام صورتين، ليقارن بينهما، ويختار ما يجب أن ينحاز إليه. وهو هدف الشاعر من عرضه لمصائب أهل البيت. فهو مدافع بالدليل العقلى عنهم. والعقل لايُضِيعُ الحقَ، إذا تجرَّدَ عن هوى النفس فى أطماعها الدنيوية. فالشاعر يبين الحقد الذى فى قلوب أعداء الحسين، فهم بحقدهم يسوقون الموت تحت اللواء، فى حين أن الله ينصر الحق فوق اللواء. وهذه الصورة تستجلب أن يد الله فوق أيديهم، وأن الله أعلى وأعزّ من جبروتهم وتسلطهم. وهو تصوير بليغ يثير الاندفاع إلى الطرف الذى أصبح الله معه، فهو عالٍ بعزته وشموخه، لأنه مثَّل الحق، والله مع الحق، كما أن أهل البيت معه. فهو يثير حقيقة ثابتة، وهى أن الحاقد لاينفع معه الإرشاد والنصح والتنبيه، فالحاقد يعيش بقلب مُتَقَرِّح، ومن الصعب مداواته وإصلاحه، ما دام الحقد ثابت فى قلبه من أحداث بدرٍ وحُنَيْن، كما هو الحال لبنى أمية.

حقــودٌ تضَــرَّمَ بدريــةً ... وداءُ الحقودِ عزيزُ الدواءِ
تراهُ مع الموتِ تحتَ اللوا ... ءِ واللهُ والنصرُ فوقَ اللواءِ

(المصدر نفسه: ١٧)

ويبين التفاوت بين الطرفين (على وأعدائه) فيشير إلى أنه أعلى قدراً من أفضلهم، بل إن الفرق شاسع بينهما، فأين الثرى من الثريا؟ وأين السماء من الحضيض والقاع؟ فهو يتحدث عن على فيقول:

وكانَ إذا مــا أضافوا إلــيـ ... ـهِ أرْفَعَهُمْ رتبةً فى المَثَلْ
سماءً أضيفَ إليها الحَضيضُ ... وبحراً قَرَنْتَ إليهِ الوَشَــلْ
بجودٍ تَعَلَّمَ منه الســحابُ ... وحِلْــم توَلّدَ منــهُ الجَبَلْ
وكــمْ شُــبهةٍ بهُــدَاهُ جَلا ... وكــم خطةٍ بحجــاهُ فَصَلْ
وكمْ أطفــأ اللهُ نارَ الضَّلالِ ... بهِ وهى ترمى الهُدى بالشُّعَلْ

(المصدر نفسه: ٢٧٢)

وتَتَبَّع الشاعر جنايات أعداء أهل البيت، وما اقترفوه من أفعال عدائية لآل النبى، منذ الأيام الأولى لظهور الإسلام والدعوة إليه. فالشاعر يبحث جادا عن كل ما يدعم موقف

www.SID.ir

Archive of SID

العترة الطاهرة. فهو يتعمق فی فهمه لأحداث التاريخ، ويستنتج منها العِبَر، مما يؤكد صدقه فی توجهاته الفكرية، وابتعاده عن الرياء أو المجاملة والمحاباة. ومن المستبعد أن يكون متظاهرا برأيه هذا، لأن طبيعة الأدلة التی أوردها نابعة من تفكير ذاتی يصعب أن تظهر علی لسانه دون إيمان بها. فالمرائی لابد أن يظهر علی فلتات لسانه ما يكشف ذاته، فی حين يتأكد صدق الشاعر فی عقيدته من ثباته عليها، وعدم ترشح ما يخالفها. فيقول:

وإنْ وَتَرَ القــومُ فی بَدْرِهِمْ　　لقَد نَقَــضَ القومُ فی كَربلاءِ
ولمْ يَنْشُرِ القومُ غِلَّ الصُّدو　　رِ حَتَّی طَواه الرّدَی فی رِداءِ
وَلَوسَــلّمُوا لإمــامِ الهُدَی　　لَقُوبَــل مُعْوَجُّهُمْ باسْــتِواءِ

(المصدر نفسه: ١٦)

وتستمر هذه المقابلة بين مواقف الطرفين، وكيف أن وصايا رسول الله فی آل بيته، قد تركت، ولم يعمل بها. وهذا ما يبين الفرق بين الادعاء بطاعة الرسول والعمل بمخالفة أقواله:

لَعَمْرِی لَقَدْ ضَلَّ رأیُ الهَوی　　بأفئدةٍ مــن هَواها هَوائی
وأوصی النبیُ ولكنْ غَدَتْ　　وَصايــاهُ مُنْبَذَةً فی العراءِ
ومنْ قَبْلِها أمَــرَ المیِّتُون　　بِرَدِّ الأمورِ إلی الأوْصياءِ

(المصدر نفسه: ١٥)

فقد كان الرسول قد أوصی بمحبة أهل البيت فلم يعمل بوصيته.كما لم يعمل بوصيته بالولاية للإمام علی، ولم ترد الأمور إليه.ويبين كشاجم فی مقايسة أخری كيف أن أعداء أهل البيت قد غشوا الله بأذيتهم للإمام الحسين (عليه السلام)، الذی أسدی لهم النصح، وأفادهم به، كما يشير إلی احتفاء جبريل عليه السلام بالحسين الوليد وهو فی المهد، مقابل تعفير جبينه المقدس بالتراب فی كربلاء، فيقول:

غَشَشْــتُمُ اللهَ فی أذِيَّةِ مَنْ　　إليكــمُ أدِّيَــتْ نصائحُــهُ
عَفَّرْتُــمُ بالثَّری جَبينَ فتیً　　جِبْريلُ قبلَ النَّبیِ ماسِحُهُ

www.SID.ir

Archive of SID

(المصدر نفسه: ٧١)

وقد أورد السيد محسن الأمين مقابلة الشاعر بين يوم الغدير ويوم الجمل، إلا أن هذا البيت لم يرد فى ديوانه (موضع المراجعة). ويحتمل أن يكون مقتطعاً من الديوان. وفيه يقول:

وقد عَلِموا أنَّ يومَ الغديرِ بِغَدرَتِهِمْ جَرَّ يومَ الجَمَلْ

(الأمين، لاتا، ج١٠: ١٠٤)

فالشاعر كشاجم يجد فى الفريقين تفاوتاً بَيِّناً، فقد ألح أعداء أهل البيت فى العناد، بمنع الإمام على ما منحه الله. فشتان بين سرعتهم فى أذيته وبين تصبره معهم:

ما صَفَحَ القومُ عندما قَدِروا لما جَنَتْ فيهِمُ صَفائِحُهُ
بل مَنَحوه العنادَ واجتهدوا أنْ يمنَعُوهُ واللهُ مانِحُهُ
كانوا خِفَافاً إلى أذِيَّتِهِ وهو ثقيلُ الوقارِ رَاجِحُهُ

(الديوان: ٧٢ – ٧٣)

وكما يبدو من المفردات المتضادة فى الأبيات، اختلاف الصورتين وتعارضهما، بين (ما صفح، وصفائحه) و(منحوه، ويمنعوه) و(خفافاً، وثقيل). فالشاعر يميل إلى المقابلة والطباق والإكثار منه، للتعبير عن اختلاف السلوك والمنحى، بين أهل البيت ومناوئيهم. وبذلك فقد كان شعر كشاجم نداء إلى المتلقى لكى يميز بين الجانبين، بعد أن بيَّن التفاوت بينهما. فالقضية لاتتوقف عند الحكم والولاية، بقدر ما تكشف التباين الشاسع بين الطرفين، فى الفكر والسلوك، فضلا عن المكانة والمنزلة عند الله والناس.

جزاء يوم القيامة وطلب الشفاعة: الشاعر فى حبه لأهل البيت (عليهم السلام) إنما يحتسبه عند الله، ولأجل رضاه، ولايطمع فى عطاء أو مِنْحَةٍ، فهو النابع من قناعة بحق، وتكليف شرعى، إراده الله عز وجل من المسلمين، ووصى به لرسوله الأمين. فالمسلم ملزمٌ بطاعة خالقه، والسير على هدى رسالته، التى أرادت للإنسان الهداية والفلاح، والجزاء الحسن، إنْ هو أطاع واستجاب لما أمره الله به. والشاعر لايغفل أن يشير إلى هذا الأمر المهم:

www.SID.ir

Archive of SID

وفی غدٍ يَعْرِفُ المخالِفُ مَنْ　　خاسِرُ دينٍ مِنْكُمْ ورابِحُهُ
وبين أيدِيكُمُ حَرِيقُ لظیً　　يَلْفَحُ تلکَ الوجوهِ لافِحُهُ
إن عِبْتُموهُمْ بِجهلِكُمْ سَفَهاً　　ما ضَرَّ بَدْرَ السماءِ نائِحُهُ

(المصدر نفسه: ٧٢)

ويقول فی بيان جزاء جاحدی حق أهل البيت (عليهم السلام):

غداً يتولـی الإلـهَ الجِدا　　لُ إنْ كُنْتُمُ من رجالِ الجَدَلْ
فيُعلَمُ مَنْ فی ظِلالِ النّعيمِ　　ومَنْ فی الجَحيمِ عليهِ ظُلَلْ

(المصدر نفسه: ٢٧٣)

فهو يتقين أن جزاءه مقابل هذا الحب الصادق لأهل البيت (عليهم السلام)، سيكون شفاعتهم له عند الله حتی يغفر ذنوبه فمفردة أيقنت تبين عمق الإيمان والاعتقاد وهو ما يشير إلی قوة الرابطة بأهل البيت:

وأيقَنْـتُ أنَّ ذُنُوبِـی بِـهِ　　تَسَاقَطُ عنّی سقوطَ الهباءِ
فصلّی عليكُـمْ إلهُ الوَرَی　　صلاةً تُوازِی نجومَ السماءِ

(المصدر نفسه: ١٧)

فالشاعر يطمح فی طلب الشفاعة فأمله بالله لاينقطع، لأن ذنوبه بسبب حبه لأهل البيت (عليهم السلام) سوف تُغْتَفَر. والله هو الأمل والرجاء، إذا قصّر فی العمل فيقول:

أيا ربِّ وَفِّقْ لخيرِ المقا　　لِ إنْ لمْ أوَفَّقْ لخيرِ العَمَلْ
ولاتَقْطَعَنْ أملی والرَّجاءَ　　فأنتَ الرجاءُ وأنتَ الأمَلْ

(المصدر نفسه: ٢٧٣)

لقد جاهد الشاعر فی إبلاغ نظرته إلی الصراع بين أهل البيت وأعدائهم، وبين اختلاف منحی كل منهما، ليسجل وبقوة تأييده لمسلک الالتزام بالحق، دون تردد أو تخوف أو تراجع، لم يتأثر بما نضح من تصرفات جده السندی مع الإمام الكاظم عليه السلام، والأثر النفسی المترتب عليه، بل انطلق وبكل وضوح، مستمسكا بما أملاه عليه عقله ودينه التمسک به. وهذا ما يشهد له بقوة فكره، وسلامة سريرته، وإخلاصه فی طلب

www.SID.ir

Archive of SID

الصواب، والسعى للتوصل إليه، وقد وفقه الله فى ذلک، والله يهدى إلى سبيل الرشاد.

النتيجة

من خلال البحث فى حياة الشاعر كشاجم وتراثه الشعرى، خاصة حول أهل بيت النبوة عليهم السلام، نستنتج ما يلى:

١. ترجيح أن يكون أصل الشاعر فارسياً استناداً إلى ما قاله هو فى شعره، وذلک مقابل عدم وجود دليل معتمد على كونه هندى الأصل، كما قيل.

٢. اعتقاد الشاعر بحق أهل البيت عليهم السلام. واستدلاله العقلى والشرعى على أفضليتهم فى استحقاقهم للولاية، وتميزهم عن مناوئيهم بالميزات الفريدة.

٣. حب الشاعر لأهل البيت عليهم السلام وتأثره وحزنه لمصابهم، خاصة فى كربلاء المقدسة، وما حصل للحسين الشهيد وعياله.

٤. مقابلة كشاجم بين صورة الحق وصورة الباطل، فى تعبيره الشعرى عن موقف أهل البيت، مقابل أعدائهم والاستفادة من هذا الأسلوب الفنى فى الدعوة إلى الحق.

٥. تركيز الشاعر على إظهار الولاء لأهل البيت عليهم السلام فى قصائد معينة، بيّنَ فيها اتجاهاتِه العقائدية والسياسية، وتوجيه أكثر ما بقى من شعره إلى الوصف والإخوانيات.

٦. توسم عزة النفس وحرية التفكير عند الشاعر، من خلال اتخاذه المواقف المختلفة عما عُرف عن جده السندى بن شاهک، تجاه الإمام الكاظم (عليه السلام).

المصادر والمراجع

ابن خلكان. ١٩٧١م. *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*. تحقيق إحسان عباس. بيروت: دار الثقافة.

ابن شرف القيروانى، محمد ابن سعيد. ١٩٢٦م. *إعلام الكلام*. تحقيق عبد العزيز أمين. بغداد: مطبعة النهضة.

ابن شهر آشوب، محمد على. ١٩٦١م. *معالم العلماء*. النجف: المطبعة الحيدرية.

ابن العماد الحنبلى، أحمد بن على. ١٤٠٦ق. *شذرات الذهب فى أخبار من ذهب*. تحقيق عبد القادر

www.SID.ir

Archive of SID

ومحمد الأناؤوط. دمشق: دار ابن كثير.
ابن مردويه، أحمد بن موسى. ۱۴۲۴ق. *مناقب علی بن ابی طالب*. تحقيق عبد الرزاق محمد حسين. قم: دار الحديث.
ابن مكی الصقلی. ۱۹۶۶م. *تثقيف اللسان وتلقيح الجنان*. تحقيق عبد العزيز مطر. القاهرة: لجنة إحياء التراث.
ابن النديم، محمد بن إسحاق. ۱۹۷۱م. *الفهرست*. تحقيق رضا تجدد. طهران: لانا.
آغا بزرگ الطهرانی. لاتا. *طبقات أعلام الشيعة*. القرن الرابع. قم: مؤسسة إسماعيليان.
أمين، أحمد. لاتا. ضحی الإسلام. ج۳. *الطبعة السابعة*. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.
الأمين، محسن. ۱۹۸۳م. *أعيان الشيعة*. بيروت: دار التعارف.
الثعالبی، أبومنصور عبد الملک. ۱۹۸۳م. *يتيمة الدهر فی محاسن أهل العصر*. تحقيق مفيد محمد قمحية. بيروت: دار الكتب العلمية.
----------. ۲۰۰۶م. *الإعجاز والإيجاز*. تحقيق محمد زينهم. القاهرة: الدار الثقافية للنشر.
حاجی خليفة، مصطفی بن عبد الله. لاتا. *كشف الظنون فی أسامی الكتب والفنون*. بيروت: دار إحياء التراث العربی.
حسن زاده آملی، حسن. ۱۴۲۸ق. *اضبط المقال فی ضبط أسماء الرجال*. تحقيق محمد كاظم المدرسی. قم: مركز العلوم والثقافةالاسلامية.
الحموی، ياقوت بن عبد الله. لاتا. *معجم الأدباء*. بيروت: دار الكتب العلمية.
الخطيب البغدادی، أحمد بن علی. ۱۹۹۷م. *تاريخ بغداد*. تحقيق مصطفی عبد القادر. بيروت: دار الكتب العلمية.
الدمشقی، يوسف اليان سركيس. ۱۹۲۸م. *معجم المطبوعات العربية والمعربة*. مصر: عالم الكتب.
الذهبی، محمدبن أحمد. ۲۰۰۴م. *سير أعلام النبلاء*. بيروت: بيت الأفكار الدولية.
----------. لاتا. *العبر فی خبر من غبر*. تحقيق محمد بن بسيونی. بيروت: دار الكتب العلمية.
الزبيدی، محمد بن مرتضی. ۱۳۰۶ق. *تاج العروس من جواهر القاموس*. بيروت: دار مكتبة الحياة.
الزركلی، خير الدين. ۱۹۸۰م. *الأعلام*. الطبعة الخامسة. بيروت: دار العلم للملايين.
السری الرفاء. ۱۹۹۶م. *الديوان*. تحقيق كرم البستانی. الطبعة الأولی. بيروت: دار صادر.
السيوطی، عبد الرحمن بن ابی بكر. ۲۰۰۷م. *حسن المحاضرة فی مصر والقاهرة*. تحقيق علی محمد عمر. الطبعة الأولی. القاهرة: مكتبة الخانجی.

www.SID.ir

Archive of SID

الشابشتی، علی بن محمد. ۱۹۶۶م. *الدیارات*. تحقیق کوکیس عواد. الطبعة الثانیة. القاهرة: مطبعة المعارف.

الصفدی، صلاح الدین خلیل بن أیبک. لاتا. *تصحیح التصحیف وتحریر التحریف*. نسخة مصورة. الموسوعة الشعریة.

الصنوبری. ۱۹۹۸م. *الدیوان*. تحقیق إحسان عباس. بیروت: دار صادر.

العطیة، نبیل. ۱۹۹۰م. *مقدمة کتاب (أدب الندیم) لکشاجم*. بغداد: دار الشؤون الثقافیة.

العسکری، نجم الدین الشریف. ۱۴۱۳ق. *مقام الإمام علی*. الطبعة الرابعة. النجف: الآداب.

الفرطوسی، عبد المنعم. ۱۹۸۷م. *ملحمة أهل البیت(ع)*. الطبعة الثانیة. بیروت: مؤسسة أهل البیت(ع).

کحاله، عمر رضا. لاتا. *معجم المؤلفین*. بیروت: دار إحیاء التراث العربی.

کشاجم، محمود بن الحسین. ۱۹۹۷م. *دیوان کشاجم*. شرح مجید طراد. بیروت: دار صادر.

مرکز الغدیر للدراسات. ۲۰۰۱م. *شعراء الغدیر(کشاجم)*. الطبعة الأولی. بیروت: لانا.

النجاشی، أحمد بن محمد. ۱۴۲۷ق. *رجال النجاشی*. تحقیق موسی الزنجانی. الطبعة الثامنة. قم: مؤسسة النشر الإسلامی.

النویری، أحمد بن عبدالوهاب. ۲۰۰۴م. *نهایة الأرب فی فنون الأدب*. تحقیق مفید قمحیة وآخرین. بیروت: دار الکتب.

www.SID.ir